(٤٤٨)

(مُحمَّدُ بن شِهَاب بن مَحْمُود ابن يُوسُف بن الحَسَن العَجمي الخافي)[١]

بالخاء المعجمة والفاء، الحنفي نزيل، سَمَرْقَنْد. ولد في ربيع الأول سنة ٧٧٧ سبع وسبعين وسبعمائة بمدينة سَلُومد بفتح المهملة وضمّ اللام وكسر الميم وآخره مهملة وهي كرسي خواف، وقرأ بها على عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد البخاري، والسّراج البرهاني. وأخذ عن آخرين في أماكن متفرقة، ومنهم السيد الشريف الجرجاني، وسمع منه. من تصانيفه شرحه للمفتاح، والمواقف، ولتذكرة الطوسي، وحاشيته على شرح المطالع، وبعض الكشاف، والبيضاوي، وغير ذلك. ومن شيوخه ركن الدين الطوسي. وسمع الحديث على ابن الجزري. وله مصنفات منها في العربية نحو ثلاثة كراريس عمله في ليلة واحدة لم يراجع فيها كتاباً، وآخر مثله في المنطق عمله في يوم أو أقل، وحاشية لشرح المفتاح للتفتازاني، وحاشية للعضد، وحاشية للمنهاج الأصلي، وللطوالع، وغالبها لم يتم. وقد حجّ واستدعاه الظاهر جقمق، وكان عالماً متقناً محققاً بحراً في جميع العلوم يكاد يستحضر الكشّاف، وكذا غيره من المعقولات. أجمع الأعاجم على أنهم لم يروا أحفظ منه مع حسن التصرف والفصاحة وجودة الذهن وقوة الفهم. ويحكى أنه أضافه الناصر بن الظاهر، وجمع العلماء فما تكلم مع أحد منهم إلّا في الفنّ الذي يُذكر به، ولم يبد سؤالاً إنما كان يُسأل فيتكلم، فَعُدَّ ذلك من إنصافه. قيل: إنه (مات) في سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة.

(٤٤٩)

(مُحمَّدُ بن صَالح الجيلاني الفَارسي ثم اليمني)[٢]

نشأ ببلاد العجم، وأخذ علم الطب عن أهلها، ثم ارتحل إلى الهند في أيام السلطان أبي الحسن قُطب شاه ملك الدكن، فنال هنالك دنيا عريضةً، وطار ذكره. ثم توجّه للحج، فركب البحر ومعه ذخائر وكتب نفيسة، فانكسر المركب ولم يخرج إلّا بنفسه. وأقام بمكة زماناً. ثم ركب البحر أيضاً يريد بلاد الهند فاجتاز باليمن والخليفة فيها الإمام المتوكل على اللَّه إسْمَاعيل بن القاسِم، فلما تحقّق فضله في الطب استدعاه إلى حضرته وأحسن إليه، ورغّبه في السكون باليمن، فرغب، وأجرى له النفقات

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٧/ ٢٦٧؛ الأعلام: ٦/ ١٦٠؛ معجم المؤلفين: ١٠/ ٧٣؛ وفيه: «الخوافي» نسبة إلى «خواف» بنيسابور.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٦/ ١٦٢؛ معجم المؤلفين: ١٠/ ٨٢.

الواسعة، ونال من آل الإمام القاسم الرغائب، وانتفع به الناس، وطار صيته، واشتهر ذكره، ولم يدخل اليمن فيما أظن أعرف منه بالطب. ولم يزل ذكره مشهوراً في الناس إلى الآن يحكون عنه غرائب في الطب تتحيّر لها الأذهان، وتطرب لسماعها الآذان.

(ومما يحكى عنه) ما ذكره صاحب نسمة السحر في ترجمته قال: سمعت أن بعض نساء الأغنياء كانت حاملاً فلما أثقلت أصبحت في بعض الأيام ميتة لا حِراك بها، ولم يكن ظهر بها مرض، فاستدعى أهلها جماعة من الأطباء، فقضوا بموتها فجأة، فلم تطب نفس أهلها دون أن ينظر إليها صاحب الترجمة. فلما رآها قال لوالدها إن أعطيتني مائة قرش رأيتها الساعة في عافية، فالتزم له بذلك. فجسَّ فؤادها ثم أخرج إبرة معه فجعل ينقش بها على فؤادها برفق فقامت في عافية، فَسُرَّ بذلك أهلها، ثم سألوه عن سبب العلة فقال: إن الجنين قبض بيده على الشريان الذي ينفذ فيه النفس من الرئة، فلما أحسّ بالإبرة أرسل يده فذهب المانع. لكني رأيت هذه الواقعة بعينها في كتاب (الشقائق النعمانية) وذكر مؤلفه أنها اتفقت للحكيم يعقوب الإسرائيلي مع بعض نساء الروم. ويجوز وقوعها لهما جميعاً. قال صاحب النسمة: وقرأ عليه والدي في الطب وكان رسمه أن يجيء إليه فيأخذ منه أجرة المشي كل يوم ربع قرش لئلا ينفق حركاته في غير نفع على رأي الحكماء. وسأله القاضي مُحمَّد بن الحَسَن الحيمي أن يفيده الطب فقال: أنا آخذ من مولانا يَحْيَى بن الحُسَين كل يوم ربع قرش وأروح إليه، وأنت تجيء إليّ وآخذ منك كلّ يوم ثمن قرش. إلّا أنَّه لم يكن يعالج الفقراء احتساباً كسنّة بقراط في الأوائل، وابن زهرة، وصاحب الحاوي وغيرهم في المتأخرين، ويحتج بأن الموت خير للفقراء. وكان له معرفة بأنواع من العلم كالمنطق والرياضي والصرف والنحو والأدب، وله شعر، أورد له صاحب نسمة السحر بيتين في هجو علي أفندي كاتب السيد عليّ بن المؤيد صاحب صنعاء وهما: [من مجزوء الرجز]

عـلـى عَـلـي أَفـنـدي لا تَـأسـفَـنَّ ولا تَـئِـنْ
ألـعـنُ مـن أخـبـثُ مـنْ أنـجـسُ مـن أكـذبُ مـنْ

ورأيت في بعض المجاميع بيتين منسوبين إليه، فإن صحّت النسبة فلو لم يكن له إلّا هُما لكان من أشعر الناس، وهما: [من الطويل]

وَمَـا الـطـبُّ إلّا عِـلْـمُ ظَـنٍّ وشُـبْـهَـةٍ وَلَـيْـسَ لِأحـكـام الـظُّـنـونِ ثُـبُـوتُ
إذا كـانَ عِـلـمُ الـطـبِّ يُـنجي مـنَ الـرَّدَى وَيُـحـيـي فـمـا بـالُ الـطَّـبـيـبِ يَـمُـوتُ

وبالجملة فإن صحّ عنه ما يتواصفه الناس من علاجاته فهو متفرد بهذا الفن

مطلقاً، فإنهم يحكون من الغرائب ما لم يحك مثله عن القدماء، وصار مثلاً يضرب في هذا الفن. وقد رأيت مجموعاً في الطبّ ذكر مؤلفه أنه جمع فيه مجربات صاحب الترجمة.

ومن جملة ما ذكره فيه أن أحسن الأدوية لأهل اليمن مطلقاً الأطريقل الأصغر، وأنه موافق للأرض، واللَّه أعلم. (ومات) سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانين وألف، ولما مرض طلب بطيخاً، وكان يقول: إن جاء البطيخ عاش مُحمَّد بن صالح سنة، فما جاء إلَّا بعد موته.

(٤٥٠)

(مُحمَّدُ بن صَالح بن مُحمَّد بن أحمد بن صَالح بن أبي الرّجال)

قد تقدم تمام نسبه في ترجمة جدّ أبيه، وهو أحد أعيان العصر وأوحد أدبائه. ولد سنة ١١٤٦ ستّ وأربعين ومائة وألف، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان ذلك العصر، ومنهم أخوه العلّامة أحمد بن صَالح المتقدم ذكره. ومهر في الأدب، فنظم الشعر الفائق، وله يد طولى في حفظ الأشعار والأخبار والصرائف واللطائف والماجريات، لا يسمع شخصاً يحكي حكايةً من أيّ نوع كانت إلّا وجاء بأمثالها. ومجالسته نزهة القلوب وروح الأرواح وفاكهة الأذهان، وله فهم للنكت والدقائق في غاية الجودة، إذا سُئل عن مشكل من مشكلات الأدب أفاد فيه بدون كلفة. وبالجملة فهو يتوقّد ذكاءً وفطنةً وحسن عشرة ومكارم أخلاق وعفة وصيانة وديانة وعلوّ همة ورياسة واطلاع تام على علم اللغة. وكثيراً ما يدعوه مولانا الإمام المنصور باللَّه خليفة العصر حفظه اللَّه ويرغب إلى مجالسته ومحادثته. وقد سمعت من فوائده في مقام مولانا الإمام كثيراً، ويجري بيننا هنالك مذاكرات أدبية ومحاضرات تاريخية. ومن محاسنه أنه إذا رأى منكراً استشاط غيظاً واضطرب والتهب مزاجه، فإني في بعض الأيام رأيته في موكب الخليفة وقد رأى رجلاً يشتكي ويستغيث، والخدم يطردونه ويكفونه عن ذلك قبل أن يسمع الخليفة شكايته، فغضب صاحب الترجمة غضباً زائداً وارتفع صوته واضطرب حتى كاد يسقط من ظهر مركوبه. ومن رائق نظمه قوله: [من الوافر]

كَـأَنَّـكَ حـيـنَ تَـغْـشَـى كُـلّ نُـكْـرٍ ... وتَخْشَى في ابنةِ الكَرْمِ الجُنَاحا[1]

زُهَـيْـرٌ حـيـنَ مـرَّ بـجـمـعِ قَـوْمٍ ... بِـهِـمْ هَـرِمٌ فـقـال عِـمُـوا صَـبَـاحـا

فيه تلميح إلى القصة المشهورة وهي أن زهير بن أبي سُلمى كان يمدح هرم بن

(١) النُّكْرُ: المنكر: القبيح. ابنة الكرم: الخمر. الجناح: الإثم، الذنب.